المخططات الفرنسية لإخماد الثورة الجزائرية في منطقة وادي سوف (1954 – 1962م)

أ/بريك الإمام/ قسم العلوم الانسانية/جامعة حمه لخضر /الوادي
limam1968@hotmail.com

الملخص بالعربية:

يسعى هذا المقال لكشف السياسة الاستعمارية التي اتبعتها السلطات الفرنسية في قمع الثورة الجزائرية في منطقة وادي سوف، هذه السياسة التي اتسمت بالهمجية والعنف والتنكيل والجرائم التي سلطت على المواطنين العزل، كما سنبرز سياسة التطويق والحصار المتبعة لعزل المنطقة عن الثورة، والمتمثلة في حراسة الحدود بإقامة أبراج للمراقبة وحراسة أبار المياه المتناثرة في مختلف ربوع المنطقة، بالإضافة إلى توسيع شبكة مراكز السجون والمحتشدات، وارتكاب مجازر بشعة في حق مناضلي التنظيم المدني الذي تمّ اكتشافه في شهر أفريل 1957م.

الكلمات المفتاحية: مخطط الحصار، السجون والمعتقلات، التعذيب والاستنطاق، الإبادة.

Abstract:

This article seeks to explore the colonial policy of the french government to suppress the algerian revolution in Oued Souf region, The policy, which was marked by barbarism, violence, abuse and crimes against citizens, in which we will bring out the encirclement and siege followed to isolate the area of the revolution, and the establishment of watchtowers of border guards and guards scattered in different water wells throughout

the region, in addition to expanding of network of camps and prisons, and commitment of heinous massacres on civil activist organization, which wax discovered in the month of April 1957.

Keywords: Siege scheme, Prisons and detention centers, Torture and interrogation, the genocide.

مقدمة:

يشير التقرير السياسي لسنة 1954م المحرر من طرف ضباط الإدارة الفرنسية بملحقة وادي سوف، إلى تشكل مجموعات من المجاهدين السوافة داخل المنطقة خلال شهري أكتوبر ونوفمبر سنة 1954م[1]، هذا التحرك كان سببا مباشرا وكافيا لإشعال فتيل الثورة، حيث وقعت أولى العمليات العسكرية المتمثلة في معركة حاسي خليفة يوم 17 نوفمبر 1954م، فسارعت السلطات الفرنسية إلى تطويق كامل حدود المعركة بعساكرها، ومنعت تحرك وتسرب المواطنين والفضوليين تجاهها، الذين سمعوا أصوات الرشاش والبنادق عن قريب، كما حشدت سكان حي النزلة الغربية، واعتقلت بعض الرجال منهم للتحقيق معهم، هذا كإجراء أولي، أما بعد التحقيقات فقد وسعت من عمليات الاعتقال، حيث اعتقلت عائلات المجاهدين ووضعتهم في محتشدات بعيدة.

بعد هذه المعركة غيرّت السلطات الفرنسية من استراتيجياتها العسكرية، وشرعت في تطبيق سياسات جديدة، حتى تقضي على الثورة الجزائرية بالمنطقة، وتتمكن من رصد تنقلات السكان في الجهة الشمالية المتاخمة لجبال النمامشة، وفي الجهة الشرقية مع الحدود التونسية والليبية، إضافة إلى تعزيز المراقبة المكثفة من الجهتين الجنوبية والغربية، فأقامت أبراج المراقبة، وحولت بعض المساجد والمدارس وبعض مواقع المعارك[2] إلى مراكز تخدم مصالحها، فجعلتها مراكز للمراقبة والاستنطاق والتعذيب.

ومن خلال هذه الدراسة سنبرز ردود السلطات الاستعمارية المتبعة للقضاء على الثورة وفق الخطة الآتية:

أولا – مخطط الحصار بإقامة أبراج المراقبة وحراسة الآبار.

ثانيا– مخطط السجون والمعتقلات.

ثالثا – مخطط التعذيب والاستنطاق.

رابعا – مخطط الإبادة وانعكاساته على مسار الثورة بالمنطقة.

أولا – مخطط الحصار بإقامة أبراج المراقبة وحراسة الآبار:

أ – الخلفية التاريخية لحراسة الآبار وإقامة الأبراج:

لقد أدركت السلطات الاستعمارية منذ بسط سيطرتها الكاملة على منطقة وادي سوف سنة 1882م، أهمية نقاط المياه المتواجدة على مستوى المسالك التي يتنقل عبرها البدو الرحل، وعلى امتداد الطرق التجارية التي تربط وادي سوف بالمراكز التجارية الداخلية والخارجية، والتي كانت وادي سوف مركزا رئيسيا فيها، لما تمثله هذه الآبار من نقاط عبور أساسية، كما مثلت المنطقة ملاذا آمنا لرجال المقاومة الشعبية أمثال البطل بوشوشة، والثائر الليبي غومة المحمودي، بالإضافة إلى نشاط تجار الأسلحة.

ومن جهة أخرى وبعد فرض الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881م، زاد التنسيق بين السلطات العسكرية في المنطقتين، التي بذلت جهودا كبيرة لإصلاح وتحسين وصيانة نقاط المياه القديمة، وإنجاز آبار جديدة، وابتداء من سنة 1884م شرعت في إنجاز عدة علامات ونقاط إشارية، تمثلت في بناء القماير، وتشييد أبراج المراقبة، والتي امتدت نحو مدينة غدامس الليبية[3]، وذلك من أجل إخضاع سكان الصحراء الشرقية، وتأمين تنقل البعثات الاستكشافية، والتحكم في الطرق التجارية، وتشديد المراقبة على الحدود المشتركة لوادي سوف مع تونس وليبيا، بحكم أنها كانت محطة للتزود بالمؤن

واسترجاع الأنفاس، ومعبرا للسلاح، ومنفذا للمقاومين الجزائريين والتونسيين والليبيين على حد سواء.

وهكذا فقد شرعت في حفر آبار جديدة رأتها نقاطا استراتيجية للسيطرة على الطرق التجارية، فحفرت مثلا بئر الغرافة سنة 1890م، وبئر لحرش في سنة 1909م، وبئرا دولمان وطنقرة في سنة 1910م، وبئر رباّ سنة 1912م، وبئرا فطيمة ومسعودة خلال سنتي 1913 و1914م، وبئر الوصيف خلال سنتي 1916م و1917م[4].

وتعتبر الحكومة الفرنسية في تونس أول من عجّل برسم الحدود مع السلطات التركية في طرابلس خلال سنة 1910م، حيث سعت إلى بناء برج " Fort-Saint " في الحدود مع غدامس، لتوفير الأمن للفرنسيين الذين قرروا الاستقرار في تلك المنطقة[5].

بالنسبة لأبراج المراقبة فقد تطورات تبعا لتطور الأحداث داخليا أو خارجيا، فمنها ما أنشئ سنة 1858م خلال عمليات التوسع الاستعماري كبرج الحمراية[6]، وفي بداية الحرب العالمية الأولى كبرج فطيمة بالحدود الجزائرية التونسية الليبية، أو بعدها كبرج شوشة اليهودي (1929-1920م) شمال غرب بوعروة، وبرج العظل[7] (1930-1939م) شرق حاسي خليفة.

وخلال الحرب العالمية الثانية شيد برج فورصة الذي يمثل نقطة التقاء الحدود بين الجزائر وليبيا وتونس، وبرج مسعودة، برج مركسن غرب مركز الدبداب، برج الرباعة، برج بير الجديد وبرج أميه ربح سنة 1939م[8].

لذا فإن نشأة أبراج المراقبة وحراسة نقاط المياه، لم تكن في حقيقة الأمر حديثة العهد، بل تزامنت مع التواجد الأول للاستعمار الفرنسي والإيطالي، وتطورت مع تطور التنافس الاستعماري للمنطقة، وتضاعفت أكثر في الحربين العالميتين الأولى والثانية بين دول المحور ودول الحلفاء، حيث كانت المنطقة مسرحا لكثير من المعارك مما دفع السلطات الفرنسية إلى حراسة الحدود والصحراء الجنوبية الشرقية من البلاد.

ب – أبراج المراقبة بعد اندلاع الثورة:

بمجرد اندلاع الثورة التحريرية وتفجيرها في وادي سوف، ومن أجل عزل الثورة عن شعبها وعن قواعدها الخلفية وخاصة تونس الشقيقة، ضاعفت سلطات العدو من إنشاء وصيانة الأبراج المنتشرة في ربوع المنطقة، وخصصت ميزانيات مالية ضخمة لتجديدها وتوسيعها، كإضافة غرف متعددة الخدمات ومخازن وسراديب (caves)، وإنشاء الطرق لتسهيل ربطها ببعض، كبرج مدينة الوادي الذي قدرت تكاليف صيانته بمبلغ 05 ملايين فرنك فرنسي، وبرج وادي العلندة بمبلغ 4.275.000 فرنك فرنسي[9]. كما حولت بعضها إلى محتشدات وثكنات عسكرية وسجون، لتتعدد مهامها من حيث المراقبة والملاحقة والسجن والاعتقال والتعذيب في آن واحد.

وموازاة مع إنشاء خط موريس المكهرب الذي انطلقت أشغاله في أوت 1956م واكتملت في سنة 1957م، انطلاقا من مدينة عنابة شمالا إلى قرية نقرين جنوبا بمسافة 750 كلم، ثم خط شال نهاية 1958م وبداية 1959م[10]، وأمام عجز السلطات الاستعمارية على مدّ هذه الأسلاك عبر الأراضي الرملية، فإنها عوضته بمشروع إنجاز العديد من المراكز والأبراج والحصون المتقاربة المسافة، حيث وصل تعدادها إلى أزيد من 50 مركزا أو برجا للمراقبة[11] على امتداد الحدود الشرقية من نقرين جنوبا إلى مدينة غدامس الليبية[12]، والتي يبلغ طولها حوالي 550 كيلومترا، كما أنجزت مراكز وأبراج أخرى على امتداد آبار المياه في الطريق التجاري الذي يربط منطقة وادي سوف بمدينة غدامس الليبية والتي يبلغ عددها حوالي 23 بئرا، محاولة بذلك تطويق المنطقة من كل الجهات، قصد تشديد المراقبة على تحركات المجاهدين والسكان والبدو الرحل

ففي سنة 1955م أنجز برج بن يونس غرب بن قشة، كما عززت السلطات الاستعمارية تواجدها على حدود الصحراء الشرقية لوادي سوف مع تونس وليبيا، بإقامة مراكز عسكرية متنقلة، تعتمد على فرق " المهاريست " (Méharistes)، منها ما هو قار مؤقتا ومنها ما هو غير قار، جمعت في مهامها بين مراقبة البدو الرحل وإقامة الدوريات، كما تتولى حراسة الحدود ومراقبتها، تتنقل في شكل مخيمات لقضاء الفترات الطويلة[13]، من بين هذه المراكز[14]:

الرقم	اسم المركز	مهامه
01	بئر العلنداية	مراقبة ودوريات
02	بئر الصمعة	مراقبة ودوريات
03	بئر الدويلات	مراقبة ودوريات
04	بئر سنيقره	مراقبة الحدود
05	بئر الناظور	مراقبة الحدود
06	أميه ونسة	مراقبة

الرقم	اسم المركز	مهامه
07	بئر الخفش	مراقبة
08	بئر أحجيلة	مراقبة
09	عين لمنادي	مراقبة
10	بئر أميه عثمان	مراقبة
11	بئر بن عطية	مراقبة
12	بئر الخبنة	مراقبة

بينما توجد مراكز أخرى غير قارة، منتشرة في وسط الصحراء الشرقية لوادي سوف، ومن أبرزها[15]:

الرقم	اسم المركز	مهامه
01	بئر الخصايمية	مراقبة ودوريات
02	بئر الحوش	مراقبة ودوريات
03	بئر سيار	مراقبة الحدود
04	بئر طنقر	مراقبة

الرقم	اسم المركز	مهامه
05	بئر الرتمة	مراقبة
06	بئر الخادم	مراقبة
07	بئر رومان	مراقبة

ثانيا– مخطط السجون والمعتقلات:

لقد عرفت منطقة وادي سوف، أوسع المحتشدات وأصعب المعتقلات وأشنع مراكز التعذيب، بحيث حاول العدو بكل ما أوتي من قوة إجهاض الثورة، أو على الأقل الظفر بالثروات النفطية، فبمجرد اكتشاف البترول صعّد العدو في حربه ضد المجاهدين والمناضلين، وشدد الخناق عليهم فأقام المناطق المحرمة[16]، وضاعف من إنشاء المعتقلات والمحتشدات والسجون التي طوّق بها المنطقة من كل الجهات، مع استحداث مراكز

مصلحة الشؤون الأهلية (S.A.S) [17]، ردا على ضربات الثورة المتتالية بمنطقة وادي سوف.

أما بالنسبة للسجون فقد مثلت كل مراكز الجيش الفرنسي سجونا مؤقتة للمناضلين والمواطنين والمجاهدين على حد سواء، في انتظار تحويلهم إلى سجن مدينة الوادي الذي يعدّ السجن الرئيسي الموجود بوسط المدينة، وقد تعرض الأهالي أثناء الاعتقال والتحقيق إلى أبشع طرق المعاملة غير الإنسانية، والتعذيب دون محاكمة عادلة، كما تمّ ترحيل أسر وأقارب المجاهدين إلى المعتقلات والمحتشدات.

أ – مراكز وسجون الجيش الفرنسي بالمنطقة:

عند اندلاع الثورة ضاعفت السلطات الاستعمارية من إنشاء المراكز والسجون، حيث بلغت عدد المراكز بالمنطقة 48 مركزا ما بين سنتي 1954م و1962م[18]، أما مراكز التعذيب فقد بلغت 38 مركزا، وفيما يلي أبرز المراكز والسجون بالمنطقة:

01 – مركز مدينة الوادي: يعتبر أول مركز استعماري بالمنطقة، أنجز منذ استقرار القوات الفرنسية، ويعتبر المقر الرئيسي لها، به مكتب القيادة العام بقيادة الرائد " فوازار " (Voisard)، والمكتب الثاني (2eme bureau) بقيادة الملازم "كولي " (Coli) المكلف بالتعذيب، ومركز للدرك، استعمل بعد اندلاع الثورة كسجن ومعتقل، ومركزا للتعذيب، والإعدام، كما تضم المدينة مراكز التعذيب التالية: السجن المركزي، الثكنة العسكرية، المفرزة العملياتية، المستشفى القديم، فيلا دقليون، مسكن مأجور، وقاعة حمي بالقاسم[19].

02 – مركز الدبيلة: يمثل المكتب الثاني، أنشئ سنة 1955م، أشرف على تسييره الملازم " لوكار " (Lecard)" بمساعدة السفاح " بريدو " (Brideaux)، المسؤول على كل مراكز الجهة الشمالية الشرقية لمدينة الوادي، استعمل للإمداد، وللسجن والتحقيق، والتعذيب والإعدام الجماعي.

03 – مركز قمار: أنشئ سنة 1955م، وهو من أهم المراكز التي استعملها العدو لقمع المواطنين والتنكيل بهم، يتمثل في المكتب الثاني ومكتب الدرك، والمطار العسكري[20].

04 – مركز حاسي خليفة: أنشئ سنة 1955م، استعمل أيضا كمركز للتعذيب والإعدام، بإدارة السفاح " بريدو " (Brideaux)، والملازم " بولي " (Poli) ، ويتكون هذا المركز من 04 مراكز تعذيب هي: السجن العسكري، مدرسة دردوري خزاني التي أغلفت أبواب الدراسة فيها بداية من سنة 1955م، مركز العضل، ومسجد حي عمرة بعد اكتشافه كمقر رئيسي للنظام المدني بالمنطقة سنة 1957م[21].

05 – **مركز الرباح**: أنشئ في أواخر سنة 1955م، بقيادة النقيب "كورنبو " (Cornebois) وهو عبارة عن ثكنة عسكرية تمارس فيها أنواع الاعتقالات والسجن والتعذيب والقتل.

06 – مركز وادي العلندة: أسس بعد اندلاع الثورة سنة 1955م، يضم الصلاحيات الاستعمارية بكافة أنواعها إدارية وعسكرية، يمارس فيه التعذيب والاستنطاق والزج في السجون[22].

07 – مركز الرقيبة: أنشئ سنة 1955م، بقيادة الملازم " هيبرتي " (Huberty)، وهو ثكنة عسكرية تمارس فيها جميع أشكال القمع والتعذيب والاعتقالات والإعدام[23]، ويشرف هذا المركز على مراكز التعذيب التالية: برج بير الزربية، برج المجير، برج المقيبرة، برج الحمراية، برج المنادي، برج حوض الطرفاية[24].

08 – مركز البياضة: أسس سنة 1956م، بقيادة النقيب "كورنبو " (Cornebois) أيضا، وهو عبارة عن ثكنة عسكرية مارست شتى أنواع التعذيب والإعدامات.

09 – مركز بوعروة: على الحدود مع تونس، يبعد عن مدينة الوادي شرقا، بحوالي 82 كلم، أنجز في أوائل سنة 1955م، أشرف على تسييره الملازم " ميرال "

(Mirale)، ويضم برج مراقبة ومحتشدا، ومركز تعذيب وإعدام[25]، ويضم مراكز التعذيب التالية: بوعروة، شوشة اليهودي، الخفج، أبيار بنت عمر، بير الصمعة، الزعبي.

10 – مركز الدبيديبي: حديث العهد، تمّ إنشاؤه مباشرة بعد معركة الدبيديبي في 16 جانفي 1956م، حيث اكتشفت السلطات الاستعمارية مؤخرا أن هذه الجهة كانت منفذا رئيسيا لدوريات المجاهدين والمناضلين.

11 – سجن النخلة: هو عبارة عن منزل شعبي لصاحبه الخائن المدعو " البشع "، أنشئ سنة 1957م لتعذيب المناضلين الذين اعتقلوا في أحداث رمضان 1957م، بالإضافة إلى وجود مركز تعذيب بصحن الخبنة.

12 – مركز بن قشة: أسس بعد اندلاع الثورة ويضم السجون التالية: بير الصمعة، الخلة، لكلابية، بير السوامش، شيباني، الدويلات، برج بن يونس، قارة الطير[26].

ج – المحتشدات والمعتقلات:

بعد وقوع معركة حاسي خليفة يوم 17 نوفمبر 1954م، شرعت السلطات الاستعمارية في إقامة محتشدات في مختلف مناطق وادي سوف من أجل عزل الشعب عن الثورة، بلغ عددها 16 محتشدا، فكانت البداية بحجز عائلات المجاهدين الذين شاركوا في تلك المعركة، وهذا ما حدث لعائلات المجاهدين: العايب البشير، وحمة لخضر، ودردوري خزاني، وذلك بحجز زوجاتهم وذويهم في انتظار استسلامهم[27]، وفيما يلي أبرز هذه المحتشدات:

01 – محتشد أميه ربح[28]: يعتبر من أضخم المحتشدات في المنطقة، أنجز سنة 1939م، حشدت فيه زوجات وذوي المجاهدين الذين قادوا معركة حاسي خليفة، مدة 07 أشهر، تمّ تجديده سنة 1957م[29].

02 – محتشد الغرافة: أنشئ في بداية الحرب العالمية الثانية سنة 1939م، استعمل أثناء الثورة كمحتشد لسكان تلك المنطقة، ولتهجير سكان الحدود إلى داخل الوطن، به برج مراقبة ومخبأ أرضي.

03 – محتشد لحرش: في الحدود مع تونس، أنجز في الحرب العالمية الأولى، اتخذ أثناء الثورة كمركز محصن لتجمع القوات العسكرية وتوزيع الجنود على المراكز المجاورة، استعمل كمحتشد لتجميع مواطني المنطقة.

04 – محتشد برج الجديد: أنشئ سنة 1950م، للاعتقال والتحقيق.

05 – محتشد الدبداب: هو مركز قريب جدا من الحدود الليبية، وقد أحدثته السلطة العسكرية الفرنسية سنة 1956م، وأنشأت فيه مطارا وزودته بكل المنشآت التي من شأنها أن تساعدها على استخدام كل آلياتها، استخدمت فيه كل أصناف الزجر والتنكيل والتعذيب[30].

06 – محتشدا أميه بن عطية وبرصيف سنة 1957م غرب قرية دوار الماء[31].

07 – محتشد علب اللموشي: 10 كلم غرب أميه الشيخ.

08 – محتشد صعنون: قرب أميه بن عطية بقرية الدوار، ويعتبر من أشد مراكز التعذيب في الحدود الشرقية لوادي سوف مع تونس[32]، كما حشدت فيه 50 عائلة من عائلات المناضلين لمدة سنة كاملة بداية من فيفري 1961م، وذلك بسبب تقديم المؤن للمجاهدين الذين قاموا بمعركة زبرات حليمة في فيفري 1961م[33].

ثالثا – مخطط التعذيب والاستنطاق:

تعرض سكان وادي سوف طوال أيام الثورة التحريرية إلى كل أنواع التعذيب والقمع الذي تعددت وتنوعت أشكاله وكانت النتيجة أن استشهد الكثير من السجناء تحت وطأة التعذيب، ومن أشكاله: التعذيب النفسي، التعذيب بالكهرباء، وبالضرب المبرح، وبالماء، وبحرمان السجناء من الأكل والشرب لعدة أيام، وبالكي، والتعليق بواسطة الحبل أو الربط بالسلاسل، وبالجر بالسيارات العسكرية و الأحصنة مثلما وقع للممرض المولدي نصيرة الذي استشهد جراء جره بواسطة سيارة عسكرية، انطلقت من مركز لصاص (S.A.S) بالدبيلة إلى مكان عمله بحاسي خليفة، إذ لم يصل من جسده إلا رجله التي ظلت عالقة بالسيارة وباقي أعضاء جسمه تناثرت على أطراف الطريق الذي يبلغ طوله 12 كيلومترا[34].

رابعا – مخطط الإبادة:

لقد ارتكبت السلطات الاستعمارية الكثير من المجازر في حق مناضلي وأهالي وادي سوف، لكن أبشعها هي مجازر شهر أفريل 1957م الموافق لشهر رمضان 1376 هجرية على الإطلاق، والتي عرفت بمجازر رمضان، بعد اكتشافها لجميع مسؤولي ونشطي التنظيم المدني لجبهة التحرير الوطني.

01– مجازر شهر رمضان 1957م:

أ – أسبابها:

– تمكن أحد جواسيس العدو من اختراق صفوف المناضلين في تونس، وتظاهره بدفع الاشتراكات للثورة، من خلالها عرف اسم مسؤول التنظيم المدني بوادي سوف المدعو البشير غربي، ليتم إبلاغ السلطات العسكرية بالمنطقة[35].

ب – عمليات الاعتقال والتصفية:

عندما أيقنت السلطات الاستعمارية أن البشير غربي هو المسؤول الأول للتنظيم، ألقت عليه القبض عشية يوم الخميس 04 أفريل 1957م الموافق لـ 04 رمضان 1376هـ، وأخذته إلى مركز لصاص (SAS) بالدبيلة، وتحت التعذيب القاسي الذي تعرض له لدرجة سلخ جلده وقصه بالجلم، فاعترف بمسؤوليته عن النظام ومن معه من مسيّرين، حينئذ شرعت السلطات في عمليات الاعتقال الجماعي الذي شمل كل القرى والمداشر في وادي سوف[36]. وفي الغد سارعت القوات الاستعمارية إلى تطويق مسجد عمرة بحاسي خليفة بالجنود والقومية للتفتيش، حيث تم العثور في مبنى المنبر على ما يلي:

– بندقيتان من نوع ستاتي ومسدسان من نوع 9 ملم، وصندوق مملوء بالرصاص.

– كميات من الديناميت ومن خيوط التفجير[37].

– دفاتر الاشتراكات المتضمنة قوائم المناضلين وختم[38] الحاكم الفرنسي الذي كانت تزور به الوثائق ورخص التنقل[39].

وأثناء عمليات التفتيش التي شملت حتى باحة المسجد التي حفرت، قام الابن الأكبر للمسؤول، بإحراق بعض الوثائق الأخرى المتعلقة بالنظام، كما ألقي القبض على إخوته وأبناء عمومته، حيث أعدم كلا من غربي مصطفى والطاهر أمام مرأى الأهالي لترهيبهم، وفي اليوم الموالي أعدم علي غربي، غبش السايح، والجيلاني عوينات[40] وألقيت جثثهم في الطريق[41].

وهكذا استمرت عمليات الاعتقال في كل قرى ومداشر وادي سوف بوحشية معززة بالكلاب المدربة، مستغلة أوقات الإفطار وقت المغرب، وناهبة كل ما يحلوا للجنود أخذه[42]، حيث شملت الاعتقالات أزيد من 1353 مناضلا، مع فرار المئات ممن علموا بأمر البحث عنهم نحو تونس ومدن الشمال، وحتى فرنسا، مستفيدين من علاقاتهم العائلية وصلاتهم العشائرية مع بعض الحركى، أو من مكانتهم الدينية لدى بعض أعوان الإدارة الاستعمارية[43].

ولتنفيذ عمليات التصفية أعلنت السلطات الاستعمارية في وادي سوف حضرا للتجوال من وقت المغرب إلى الصباح، وشرعت في إعدام المسؤولين خارج العمران، فالجهة الشرقية التي مركزها الدبيلة، تمت التصفية في صحن بري شرق حاسي خليفة[44].

أما الجهة الشمالية التي مركزها قمار فتم الإعدام في منطقة الفولية القريبة من الرقيبة[45]، أما منطقة مدينة الوادي فأعدم المناضلون في العرق الغربي للمدينة، وفي الجهة الجنوبية التي مركزها بعميش، تمت التصفية قريبا من مركز الدبيديبي، وذلك بعد أن يحفروا قبورهم بأنفسهم، ثم يطلق عليهم النار[46].

ففي ليلة 09 أفريل 1957م، أعدم 12 شهيدا من مناضلي مدينة الوادي من بينهم: البشير بن موسى، الهاشمي ونيسي، محمد السروطي، علي عيادي، أحمد لومي وغيرهم.

وفي ليلة 11 أفريل من نفس السنة أُعدم مناضلو منطقة عميش من بينهم: الطيب بكاري، مصطفى عسيلة، الساسي غريبي، محمد الصغير جديدي، شوشان سلطان وغيرهم[47].

في ليلة 16 أفريل وفي منطقة الفولية بالرقيبة، أعدم مكتب قمار المناضلين: العربي بني، رمضان دروني، الهادي بحة وغيرهم[48].

وفي نفس الليلة وفي نفس المنطقة، أعدم 10 مناضلين من بينهم: الساسي رضواني، الهادي بحة، العروسي، الطاهر قديري، وبوضبية العروسي.

وفي ليلة 18 أفريل أشرف مركز الدبيلة على إعدام 12 مناضلا من حاسي خليفة من بينهم: البشير غربي، لمين ونيسي، خطاب عبد الكريم، العمامرة البشير، ليتم في نفس الليلة إعدام 17 مناضلا من مناضلي المقرن منهم: بالقاسم حمي، الطاهر عياشي عمر، خزاني بن علي، بته لعبيدي، هزلة محمد وغيرهم.

ولم تنته الملاحقات والإعدامات في شهر رمضان بل استمرت طيلة سنة 1957م والنصف الأول من سنة 1958م[49]، حيث جاوز عدد الشهداء 141 شهيدا[50].

أما المساجين في شهر رمضان فقد بلغ عددهم حوالي 400 سجين[51]، وأما الذين عذبوا ولم تثبت إدانتهم فقد أفرج عنهم في ليلة القدر مقابل غرامات مالية[52]، وهناك من أفرج عنهم بوساطة بعض أقاربهم وأصحابهم ممن لديهم علاقة بالإدارة الاستعمارية أو بعض شيوخ العشائر، مثل الإمام الشريف[53]، والشيخ الحسين حمادي الذي نفي إلى البلاد التونسية يوم 19 جوان 1957م[54].

ج – انعكاسات المجزرة على مسار الثورة والأهالي:

بالنسبة للثورة فإن السلطات الاستعمارية عملت من وراء هذه المجازر إلى تحقيق مجموعة من الأهداف لوأد الثورة والتي كانت أثارها سلبية على مسارها:

– تضييق الخناق على كل مواطن، حيث أصبح يودع في السجن لمجرد الظن أو الشك فيه[55].

– قطع الدعم والإمداد عن جيش الحدود بقيادة الطالب العربي قمودي.

– القضاء ولو مؤقتا على العمل العسكري بالمنطقة.

– ترهيب السكان وتخويفهم وإخضاعهم لأوامر السلطة الفرنسية.

– تطويق المنطقة بالمراكز والأبراج، ومحاصرتها بالاستخبارات العسكرية وخصوصا أعوان الاستعمار.

– قطع الاتصال بين التنظيم السياسي والعسكري في الداخل وعبر الشريط الحدودي مؤقتا[56].

ومن الملاحظ أن الجنرال " سوستال " (Soustelle) نزل إلى المنطقة بعد هذه المجازر، حيث صرح قائلا: « ينبغي ألا يبقى أي فلاق في هذه المنطقة»[57].

بالنسبة للأهالي، فإن العدو لم يكتف بسفك دماء الشهداء والعبث والتمثيل بالمساجين، بل تعداها إلى حرب نفسية مست جميع الأهالي باختلاف أجناسهم وأعمارهم، فانتهك حرمة شهر رمضان واعتدى على المقدسات الإسلامية لاسيما المساجد، حيث مُنع المصلون من أداء صلاة التراويح وصلاة الصبح فيها، وهذا بفعل حظر التجوال الذي من خلاله نفذ المستعمر عمليات التصفية.

كما تعرض أهالي المناضلين إلى الإهانات اللفظية المتكررة والضرب المبرح، فحتى النساء لم يسلمن منه مثلما حدث لعائلة العمامرة، بالإضافة إلى حرب تخريبية اقتصادية شملت جميع منازل ودكاكين وغيطان المناضلين، التي تعرضت لنهب الأموال والسلع وكل ما له قيمة مادية[58].

كما قامت السلطات الاستعمارية بمصادرة كل البضائع المنقولة خارج العمران ما لم يكن مرخص لها، واعتبارها مرسلة للمجاهدين، وفرضت على الرجال أعمال السخرة لإنجاز مشاريع الإدارة[59].

وفيما يلي تعداد شهداء مجازر رمضان على مستوى مناطق وادي سوف[60]:

الرقم	المنطقة	عدد الشهداء
01	حاسي خليفة	12
02	الدبيلة	13
03	المقرن	18

الرقم	المنطقة	عدد الشهداء
08	الرقيبة	11
09	الرباح	14
10	البياضة	14

04	الطريفاوي	07		11	النخلة	07
05	سيدي عون	03		12	العقلة	06
06	مدينة الوادي	17		13	ورماس وكوينين	07
07	قمار	07		14	حساني عبد الكريم	05
المجموع الكلي لعدد شهداء مجازر رمضان				141 شهيدا		

02 – مجزرة حبل الطرفة: يوم 04 جانفي 1958م.

– أسبابها:

في إطار حملات جمع التموين من المراكز المخصصة بالبدو الرحل والعروش، انطلقت دورية تتشكل من 06 مجاهدين بقيادة المجاهد صوادقية صالح بن علي نحو منطقة بوعروة، حيث استقرت بمنطقة حبل الطرفة[61] لعدة أيام، تمكنت خلالها من الاتصال بالمواطنين الذين تبرعوا بمختلف المؤن الغذائية[62]، لكن أحد العملاء وشي بهم إلى مركز العظل، الذي سارع إلى حشد قواته نحو المنطقة، وهناك تيقنوا من حقيقة وجود المجاهدين وذلك برؤية آثار أقدامهم الحديثة العهد[63].

– عمليات الاعتقال:

بعدما علم المجاهدون بتحرك الجيش الفرنسي انسحبوا شرقا داخل الأراضي التونسية، لتشرع قوات العدو في حشد كل مواطني المنطقة والذين بلغ عددهم حوالي 280 مواطنا في المكان المسمى " علب السبطة "[64]، ثم نقلتهم إلى محتشد " أبيار بنت عمر " أين تم اعتقال 45 من المناضلين من مختلف الأعمار، ونقلهم إلى " بئر بوعروة "[65]، أين لاقوا أشد أشكال التعذيب والتنكيل لمدة 07 أيام، حيث يُرْمَى المناضل داخلها فوق رفقائه بعد الاستجواب والتعذيب بكل أشكاله، ليستشهد المناضلان محمد السمينة ومحمد الصغير خماد تحت التعذيب[66]، ولتسفر نتائج التحقيق عن اعتقال 06 مناضلين، تمّ نقلهم إلى مركز مدينة الوادي أين سجنوا هناك لمدة شهر، حوكم عليهم

بالإعدام رميا بالرصاص بعد إرجاعهم إلى حبل الطرفة، وهم: بلول العيد، بلول عبد القادر بن مسعود، هويدي عبد القادر، دويم عبد الله (قلعت عينه من شدة التعذيب)، دويم العيد، دويم عثمان بن الكيدي، ولم يكتف العدو بذلك، بل تعداها إلى قتل كل جمل يلقاه في طريقه يحمل إشارة[67] عرشي دويم أو بلول[68].

أما أهالي الشهداء والمجاهدين الذين يمثلون 17 عائلة من عرش دويم، و03 عائلات من عرش بلول، فجمعوا رجالا ونساء وأطفالا في محتشد " علب اللموشي "، فمركز " الصعنون " أين تعرضوا للتعذيب والتحقيق يوميا، ليستشهد الشيخ محمد الصغير خماد تحت التعذيب، ثم نقلوا إلى محتشد أميه ربح أين بقوا حوالي 07 أشهر، ثم محتشد بئر الجديد، وأخيرا " زملة غدير "[69] أين يُحشد ويُعتقل أهالي عرش البغازلية، ليتم إطلاق سراحهم بعد أن كابدوا الجوع والعذاب والإهانة لمدة عام كامل[70].

03 – مجزرة بئر سيار: يوم 15 جانفي 1958م: انطلاقا من مركز القيادة بمنطقة دوز التونسية، خرجت دورية من 05 مجاهدين بقيادة المجاهد إبراهيم معتوقي بن الصادق متجهة نحو الداخل (داخل الأراضي الجزائرية) للاتصال بالمواطنين لتبليغ تعليمات القيادة وجمع المؤن والأموال من البدو الرحل والعروش المتواجدة على أطراف الحدود.

ولم تطل مدة مكوثها بمنطقة بئر سيار حيث أكتشف أمرها من طرف العدو وانسحبت الدورية بسلام، لكن العدو بقي يتتبع أثرها في أوساط الشعب، حيث حشد كل أهالي المنطقة، وعذب كل من تعاطف وساند الثورة من قريب أو بعيد، وقد استشهد المناضلان: محده علي بن الساسي، ومعتوقي عمر بن عون بمركز بئر الجديد تحت سياط التعذيب[71].

خاتمة:

رغم كل الإجراءات القمعية التي قامت بها السلطات الاستعمارية لإذلال الأهالي وقطع إمداد الثورة، إلا أنها استمرت في نشاطها، بل حاول المناضلون التأقلم مع الواقع الجديد الذي كانت انعكاساته متعددة الجوانب، وأثبتوا فشل كل مخططات العدو،

حيث تواصلت العمليات العسكرية داخل وادي سوف وعلى طول الشريط الحدودي مع تونس وليبيا وفي أعماق الصحراء، والتي ضاق فيها العدو خسائر فادحة في العدة والعتاد، وخاصة السلاح الجوي الذي لقي خسائر كبيرة تمثلت في تحطم العديد من طائراته المعززة بقوات السلاح الجوي للحلف الأطلسي، بفضل امتلاك المجاهدين للأسلحة الحديثة المضادة للطائرات، بل حتى المنشآت البترولية الفرنسية لم تكن بمنأى عن ضربات وكمائن المجاهدين، كما حدث في وادي مركسن ووادي هجرين سنة 1961م.

ومن جهة أخرى بقيت عمليات نقل السلاح إلى الولاية السادسة متواصلة، حتى مع اقتراب الإعلان عن توقيف القتال، حيث تمكن المجاهدان خليفة بن الكيلاني بريك والوردي يوم 17 مارس 1962م من نقل كمية من الأسلحة على متن قافلة تكونت من 03 جمال، وتوصيلها إلى غوط شرق حاسي خليفة ليتم بعد ذلك نقلها ليلا بواسطة سيارات خاصة إلى مدينة غرداية ومتليلي[72]، كما تمكن جيش الصحراء المرابط على الحدود الليبية، من نقل السلاح إلى الولاية السادسة عن طريق ورقلة انطلاقا من مدينة غدامس الليبية، حيث نقل على متن قوافل الجمال بلغت 17 جملا في أربعة دفعات[73].

كما تمّ إعادة انبعاث التنظيم المدني بوادي سوف، إذ فُتحت جبهة جديدة أكثر تنظيما نحو الولاية السادسة عن طريق القائد نصرات حشاني الذي مثّل همزة وصل بين قيادة الولاية السادسة ومنطقة وادي سوف، حيث أشعل فتيل الثورة من جديد.

أكدت الثورة التحريرية في وادي سوف شمولية الثورة الجزائرية، التي امتدت إلى أقصى الصحراء الجنوبية الشرقية، وأحبطت بذلك كل المخططات الفرنسية للظفر بالصحراء وثرواتها، فالعمليات العسكرية لم تقتصر على المناطق المحاذية لعمرانها، بل لاحق المجاهدون القوات الفرنسية في أي مكان تكون فيه، فحتى الأراضي التونسية شهدت معارك عنيفة، كما أشعلت المعارك كل الشريط الحدودي مع تونس وليبيا، وامتدت إلى حدود مالي، والتي من خلالها قام جيش الصحراء بحماية الحدود الجزائرية وخاصة مع تونس التي أرادت أن تتوسع إلى منطقة عين أمناس.

الهوامش

[1] - Archive du Musée d' ELMOUDJAHID d' El-Oued, **Rapport Annuel de l'année 1954**, L'Administrateur des Services Civils: Chef de la Commune Mixte d'EL.OUED, 10 / 02 / 1955, p 01.

[2] - تمكن المجاهدون من خوض 35 عملية عسكرية في مناطق وادي سوف.

[3] - Doctor Escard , " **Etude Médicale et climatologique sur le pays d'El oued souf**, publie dans les archives de médecine en 1886 ", p 46 - 47

[4] - Roger Leselle: " **Les Noirs du Souf** ", Supplément, Bulletin de Liaison Saharienne, 3eme trimestre, 1957, p 28.

[5] - على غنابزية، **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300 – 1374 هـ / 1882 – 1954م**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 2008 - 2009، ص 33.

[6] - الحمراية: [En Ligne] = [Consulté le: 14/05/2013]، متوفر على الموقع الإلكتروني: http://ar.wikipedia.org/wiki

[7] - برج العضل اعتقلت فيه زوجات مجاهدي معركة حاسي خليفة لمدة 11 يوما في انتظار ترحيلهم إلى محتشد أميه ربح، ومنهم المجاهدة غربي فاطمة زوجة الشهيد خزاني دردوري رفقة والدها، المجاهدة مسعودة زوجة البشير العائب، المجاهدة خديجة زوجة الشهيد حمة الأخضر، إضافة إلى الكثير من عائلات عرش الربايع الذي ينتمي إليه هذا الأخير، حيث بلغ عدد النسوة 55 امرأة. لقاء مع المجاهدة غربي فاطمة زوجة دردوري خزاني، وإحدى المعتقلات بمحتشد أميه ربح، بمنزلها بحاسي خليفة، يوم 06 مارس 2013م.

ملحقة متحف المجاهد بالوادي، **المراكز الاستعمارية والمهام التي تقوم بها**، مخطوط، ص 06 – 09.

[8] –

[9] – Archive du Musée d' ELMOUDJAHID d' El-Oued, **Rapport Annuel de l'année 1956**, **Pièce Périodique Annuelle N° 61**, L'Administrateur des Services Civils: Chef de la Commune Mixte d'EL.OUED, 05 AVRIL 1957, p 17 – 22.

[10] – سلسلة الملتقيات، **الأسلاك الشائكة المكهربة**، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الأسلاك الشائكة والألغام، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2010، ص 280.

[11] ينظر الملحق: خريطة أبراج المراقبة بالمنطقة.

[12] – الأمانة الولائية للمجاهدين، " **تقرير ولاية الوادي في الملتقى الوطني الأول لولايات الحدود** "، ص 17 – 18.

[13] – ملحقة متحف المجاهد بالوادي، المرجع السابق، ص 09.

[14] – عبد القادر عوادي، **الطريق إلى غوط سلطان**، الوادي، 2003، (مخطوط).

[15] – ملحقة متحف المجاهد بالوادي، المرجع السابق، ص 09.

[16] – محمد الشريف عباس، **من وحي نوفمبر (مداخلات وخطب)**، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، (د.ت)، ص 148.

[17] – الهادي أحمد تمام درواز، **الولاية السادسة التاريخية: تنظيم ووقائع 1954 – 1962**، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 53.

[18] – الهادي أحمد تمام درواز، **صقور الصحراء**، دار هومة، الجزائر، 2006، ص 67.

[19] – طليبة بوراس، قائمة مراكز التعذيب خلال الثورة بولاية الوادي، مخطوط ، ص 01.

[20] – لقاء مع المناضل محمد علي بني، بمنزله بمدينة قمار، يوم 11 مارس 2013م.

[21] – لقاء مع المناضل عمار فطحيزة عمارة، بمنزله بحاسي خليفة، يوم 18 جانفي 2013م.

[22] – ملحقة متحف المجاهد بالوادي، المرجع السابق، ص 04.

[23] – عبد القادر ميهي، " **المجزرة المنسية** " مجلة القباب، عدد خاص بالثورة، مجلة ثقافية فكرية شاملة، تصدر عن دار الثقافة بالوادي، الوادي، 2005، ص 44.

[24] – طليبة بوراس، المرجع السابق، ص 01.

[25] – ملحقة متحف المجاهد بالوادي، المرجع السابق، ص 05.

[26] – طليبة بوراس، المرجع السابق، ص 02.

[27] – فاطمة غربي، اللقاء السابق.

[28] – على بعد 100 كلم جنوب قرية الدوار، وعلى بعد 150 كلم جنوب مدينة الوادي في طريق الوادي – غدامس.

[29] – فاطمة غربي إحدى المعتقلات في هذا المحتشد، اللقاء السابق.

[30] – ملحقة متحف المجاهد بالوادي، المرجع السابق، ص ص 06 – 07.

[31] – طليبة بوراس، **قائمة المعتقلات والمحتشدات بولاية الوادي خلال الثورة التحريرية**، مخطوط، ص 01.

[32] – لقاء مسجل مع المجاهد علي دويم، ببلدية الطالب العربي، بتاريخ 04 أفريل 2013م، إذاعة الوادي الجهوية.

[33] – لقاء مسجل مع المجاهد العيد دويم، ببلدية الطالب العربي، بتاريخ 04 أفريل 2013م، إذاعة الوادي الجهوية.

[34] – عمارة فطحيزة عمار، اللقاء السابق.

[35] – لقاء مع المجاهد عبد الحميد بسر، بمنزله بالوادي، يوم أول ماي 2013م.

[36] – عبد القادر ميهي، المرجع السابق، ص 44.

[37] – علي عون، المرجع السابق، ص 13.

[38] – تمكن الشهيد الأمين ونيسي من سرقة الختم بواسطة والده الذي كان يعمل ككبير الإداريين عند الحاكم الفرنسي بملحقة مدينة الوادي، وباستعماله تمت عشرات المهمات لنقل البريد والأسلحة، وتنقل

مئات الأفراد تجاه منطقة الرديف أين توجد قيادة الجنوب الشرقي، أو نحو القيادة بجبال النمامشة والأوراس.

[39] – علي بوصبيع العايش، **الذكرى الـ 48 لمذبحة رمضان 1957م بسوف** " جريدة الشعب، العدد 13643، الأربعاء 27 أفريل 2007، ص 07.

[40] – يذكر المناضل الصادق بريك أن أحد أعوان العدو المدعو سالم البرقادي وبالتنسيق مع الشيخ الحسين قايد المقرن، بعد سماعهما لقرار الضابطين الفرنسيين القاضي باعتقال الشهداء غبش السايح، عوينات الجيلاني، البشير عمامرة، عبد الكريم خطاب ليوم الغد، أن سالم نزل بحاسي خليفة ليلا، وأخبر هؤلاء بأن عليهم الفرار بعد اكتشافهم من طرف العدو، إلا أن هؤلاء لم يكترثوا لتحذيره، وهذا ما يؤكده الباحث سعد عمامرة ابن الشهيد البشير عمامرة حين يذكر أن والده كان على علم مسبق باكتشاف التنظيم وعرض عليه نقله إلى تونس إلا أنه رفض ذلك، ينظر: سعد العمامرة، **عائلة العمامرة**، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، 2011، ص 124.

[41] – لقاء مع المناضل عمار قدودة، بمسجد النزلة الشرقية بحاسي خليفة، يوم 20 مارس 2013م.

[42] – سعد العمامرة، المرجع نفسه، ص 126 – 128.

[43] – علي بوصبيع العايش، المرجع نفسه، ص 07.

[44] – سعد العمامرة، المرجع السابق ، ص 129.

[45] – التجاني العقون، **شهداء قمار**، ط1، مطبعة سخري، الوادي، 2011.، ص 39.

[46] – لقاء مع المناضل الصادق بريك من مواليد 1938، بمنزله، بحاسي خليفة، يوم 14 فيفري 2013م..

[47] – محمد الصالح بن علي، **الشيخ الحسين حمادي: حياة علم وكفاح**، ط1، مطبعة سخري، الوادي، 2012، ص 154.

[48] – التجاني العقون، المرجع السابق، ص 40 – 70.

[49] – محمد الصالح بن علي، المرجع السابق، ص ص 154 – 155.

[50] – علي بوصبيع العايش، المرجع السابق، ص 07.

[51] – بن سالم بن الطيب بالهادف، **سوف تاريخ وثقافة**، مطبعة الوليد، الوادي، 2007، ص 43.

[52] – محمد علي بني، اللقاء السابق.

[53] – علي بوصبيع العايش، المرجع السابق، ص 07.

[54] – محمد الصالح بن علي، المرجع السابق، ص 165.

[55] – علي بوصبيع العايش، المرجع السابق، ص 07.

[56] – المنظمة الولائية للمجاهدين،" **الذكرى 46 لمجازر رمضان 1957** "، الندوة التاريخية لمجازر رمضان 1957، الوادي، 21 مارس 2003، ص 02.

[57] – التجاني العقون، المرجع السابق، ص 69.

[58] – سعد العمامرة، المرجع السابق، ص 129.

[59] – علي بوصبيع العايش، المرجع السابق، ص 07.

[60] – علي عون، المرجع السابق، ص 17 – 22. لقاءات مع المجاهدين: محمد علي بني، سعد عون، صالح الرقيق.

[61] – تقع داخل الأراضي التونسية على بضع كيلومترات، شمال منطقة بوعروة الحدودية.

[62] – لقاء مع المجاهد صالح صوادقية، بمنزله بحي صحن بري، بلدية حاسي خليفة، يوم 26 ديسمبر 2012م.

[63] – لقاء مسجل مع المجاهد البشير حمية، ببلدية الطالب العربي، بتاريخ 04 أفريل 2013م، إذاعة الوادي الجهوية.

[64] – تقع 10 كلم جنوب منطقة بوعروة.

[65] – بئر ماء شمال منطقة بوعروة، وهي عميقة ومربعة الشكل، طول ضلعها من 07 إلى 08 أمتار.

[66] – البشير حمية، اللقاء السابق.

[67] – تُعْرف عروش وادي سوف من خلال شكل الخيمة ووشم الجمل، حيث لكل عرش طابع خاص بالجمال التي يملكها، حيث يوضع الطابع على الرقبة أو الأذن أو الورك (العزازلة OI، الفرجان I، المصاعبة X، الربايع E).

[68] – علي دويم، اللقاء السابق.

[69] – معتقل يقع غرب قرية الرباح.

[70] – علي دويم، اللقاء نفسه.

[71] – الأمانة الولائية للمجاهدين، **التقرير الولائي لكتابة تاريخ الثورة التحريرية 1958 – 1962م** "، التقرير السابق.

[72] – الصادق بريك، اللقاء السابق.

[73] – الهادي حمد بوغزالة، **شاهد من الثورة، مذكرات مجاهد**، ط1، مطبعة سخري، الوادي، 2012، ص 127.

المصادر والمراجع المعتمدة في إنجاز الخريطة:

01 – لقاءات مع المجاهدين: مسعود موساوي، الهادي حمد بوغزالة، مصباح بريك.

02 – التقرير السابق لولاية الوادي في الملتقى الأول لولايات الحدود بالطارف.

خريطة أبراج المراقبة ومراكز ومحتشدات العدو بوادي سوف (1954 – 1962م).